سلسلة إحياء تراث أهل السنة والجماعة في حضرموت (٢)

تنزيه الذات والصفات من درن الإلحاد والشبهات

تأليف

محمد بن محسن العطاس

تحقيق

أكرم مبارك عصبان

دار الأخلاء للنشر والتوزيع

الإخلاء اسم له معنى

تنزيه الذات و الصفات

من درن الإلحاد و الشبهات

تأليف

محمد بن محسن العطاس

تحقيق

أكرم مبارك عصبان

دار الأخلاء
للنشر والتوزيع

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م

وزارة الثقافة – فرع حضر موت

رقم الإيداع بدار الكتب اليمنية: ٢١٢/٢٠١٠م

دار الأخـلاء للنشر والتوزيع

اليمن – حضر موت – المكلا

٤٠ شقة على طريق فوه مقابل مستشفى الأمومة والطفولة

E_mail: Salim_bareak@yahoo.com
Salim_bareak@hotmail.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه، وسلم تسليماً وبعد:

ما دام المرء يدعو إلى تجريد توحيد الله ﷻ، وإخلاص العبادة له ﷻ فإنه يقتفي سبيل الأنبياء، وكلما طال مقام الداعية في هذا الشأن ولّت الخرافة الأدبار، ولا يضره أن يثقل مقامه على دعاة الخرافة، ويعظم عند من لا يرفع للتوحيد رأساً، فلا عجب إذا اشمأزت نفوسهم من ذلك، ولكن أن يقلل من شأن هذا الأمر بعض من ينتسب إلى العلم فهذا العجب العجاب.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس:٧١].

وفي إطار بيان هذا الأمر تأتي رسالة كشف الشبهات التي صاغتها أنامل محمد بن محسن العطاس، ولم تحتف كتب التراجم بذكر مؤلفها أشحة علينا بسيرته فضلاً عن جهوده ورسالته.

وإذ كان مخرجها مهبط الوحي فإن زمانها يرافق انتعاش دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد فصلّتُ القول في الحديث عن الجيش النجدي إلى حضرموت، في دراسة الفرق والمذاهب بحضرموت، وسرت على أثر الجيش قصصاً حتى آل الأمر بتوكيل السلطان عبد الله بن عوض غرامة بالقيام بنشر مضامين الدعوة على أن يرجعوا من حيث أتوا.

السلطان عبد الله غرامة:

وقام الوكيل الذي عاش في أكناف تريم بالأمر أتم قيام، ووفى بعهده الذي عاهد عليه الجيش النجدي، فكان يوافي فقهاء تريم في مجالسهم، ويغشاهم في مدارسهم حيث يأتي بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فتارة يذهب إلى مدرس الشيخ عبد الله بن علي بن شهاب بزاوية الشيخ علي بتريم، ويحمل معه بعض كتب ابن عبد الوهاب فيناوله الشيخ ابن شهاب ويقول له: اقرأ لنا في هذا الكتاب، ولكن ابن شهاب يضع الكتاب على فخذه ويسكت حتى يضجر غرامة ويأخذ كتابه وينصرف.

وتارة يذهب إلى مدرس الفقيه عبد الله بن حسين بلفقيه في مسجد السقاف ويناوله الكتاب ويقول له: اقرأ لنا فيه، فيسأله: أي كتاب هذا؟ فيجيب: كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ولكن بلفقيه يختلف رده عن الفقيه عبد الله بن شهاب، فقد رماه بقوة، وقال: نحن وهابية من جدنا محمد بن عبد الله، لا نرى فاعلاً ولا خالقاً ولا رازقاً ولا ضاراً ولا نافعاً إلا الله تعالى، فيرجع غرامة منكسر الخاطر يلتقط الكتاب ويقول: بلفقيه فيه هوى.

قلت: وتوحيد الربوبية الذي ذكره الفقيه عبد الله بن حسين ليس مراد غرامة كما أنه ليس موضع النزاع الذي تدور عليه كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فإن الإقرار بذلك لا تترتب عليه النجاة قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

ولكن الذي نريد أن نصل إليه هو بيان الذين ضرب عنهم الذكر صفحاً من دعاة تجريد التوحيد، ورعاة دعوته حيث يبرز اسم الشيخ جعفر بن عبد الرحمن السقاف، وكان قد ترك

حضرموت لما تراكبت فيه ظلمات الجهل، وحمل العصا على عاتقه حتى ألقاها بصنعاء، وألَّف فيها كتاب (بغية المريد لسبيل أهل التوحيد) وبعث بها إلى علوي بن سقاف الجفري، وأوصاه أن ينظر إليها بعين الإنصاف، خالياً عن التعصب والاعتساف، عالماً بأن كتاب الله وسنة رسوله مقدمة على الآباء والأسلاف، كما أوصاه بنشره على جميع الطلاب وأن يبين لهم ما يشكل، وإذا أمكنه قرأه في الروحة ومما قاله: (ونحن - بالله - لو نعلم أن لذلك قبولاً لدى أهل بلادنا لما استقرينا في صنعاء إلا قدر ما يأخذ حاجاته المسافر، وإن أنكروه فنحن حيث نحن، ما بانلقي بأنفسنا إلى التهلكة، والله تعالى يقول عن إبراهيم: ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات:٩٩-١٠٠]، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة:٤] [(١)].

مكاتبات السقاف وغرامة:

وقد جرت مكاتبات بين الشيخ جعفر السقاف والسلطان عبد الله غرامة لاتفاق المشرب على بعد ما بينهما من الناحية العلمية حيث أن الثاني لا يحمل إلا الهمة العالية في دحر العقائد الباطلة، ومما كتبه الشيخ جعفر من صنعاء إلى السلطان رسالة من مضامينها ما يلي:

- أن يبعث بها السلطان إلى فقهاء الجهة لينظروا فيها، ويردوا على ما يلاحظونه عليها.

- بحث الاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله.

وقد رد عليه السلطان بكتاب باللهجة العامية بعد القيام بإرسالها إلى فقهاء الجهة، وكان ذلك بسفارة القاضي حسين مديحج، ويمكن تحديد ما في الجواب بما يلي:

---

(١) بضائع التابوت (مخطوط).

- مشقة هذا الأمر على علماء السوء كما يقول غرامة، حيث أن فيه توحيد الله وترك الأنداد.

- ذكر بأن له ثلاثين سنة وهو يدعوهم لعبادة الله وحده، وترك عبادة الأنداد، ويجوبون عليه بأننا نعاهدك على الصلاة والزكاة والحج والصوم وترك المحرمات، وأنت وحِّد وحدك! ونحن نريد طريقة آل باعلوي، فكان يرد على جوابهم بأن ما ذكرتموه لا يصح إلا بالتوحيد والفرائض مثل الصلاة، ما تسمى صلاة إلا بالطهارة والشرك يفسد العبادة مثل النجاسة تفسد العبادة، قال: وآل باعلوي السابقين نقول: (تلك أمة قد خلت).

- حضوره مجامعهم أسفل حضرموت وأعلاها ونشر كتب التوحيد، ووصيتهم أن يتركوا بيت العنكبوت.

- وعدهم له بالجلوس ولم يتم من ذلك شيء.

- تصريحه ببغضهم في الله لأنه شاق عليهم ذكر أحسن الخالقين وحده، وليس بغضه لغرض غير هذا، وذكر أنهم مستكبرون، وينظرون له بعين الاستضعاف.

- وصفهم جعفر السقاف بالجنون قال: (والمجانين إلا هم فمن يقول: الله وحده كما يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾[فصلت:٣٠]) قال غرامة معلقاً: والمجنون الذي يدعو غير الله ويذبح لغير الله، وينذر لغير الله وسلم لنا على كل من وحد الله ونفى غيره، بتاريخ فاتحة جمادى آخر (١٢٥١ هـ)[1].

وقوله بأنه يدعوهم ثلاثين سنة إلى تجريد التوحيد، ويذهب إلى مجامعهم هو المقصود، إذ أن تاريخ الرسالة يشهد بالوفاء بعهده أمام قادة الحملة، ولم يتلعثم، بل ولم يستوحش الطريق

---

(١) المرجع السابق.

لقلة السالكين، ولم يضره كثرة المخالفين، مما يشير إلى شجاعته، فكان لم يرق له حال في كل ما يراه يخدش التوحيد، وقد سمع بعض العامة يرتجزون بقولهم: يا شيخنا يا محضار! وهم ذاهبون لزيارة قبر هود المزعوم، فغضب واستل سيفه، ولم يخلصهم إلا استبدالهم الرجز الشركي بغيره، وهو ما لقنه إياهم الفقيه عبد الله بن حسين بلفقيه أن يقولوا: سبحان من لا يفنى ولا يزول ملكه.

الشيخ باصبرين

وقد فُقِدَ كتاب الشيخ جعفر الذي أفرده لبحث هذه المسألة واسمه (بغية المريد لسبيل أهل التوحيد) وهو يذكرني أيضاً بغياب كتاب الشيخ علي بن أحمد باصبرين الموسوم (هداية العبيد إلى خالص التوحيد) فعسى الله أن يأتيني بهم جميعاً، وكان الشيخ باصبرين قد تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أن خلع عنه جلباب الكبر الذي هو بطر الحق، وغمط الناس، وكان قد نال من دعوته عند بعض أتباع دعوته، وهما صالح العبد الله البسام ومبارك آل مساعد فقالا له: هل اطلعت يا شيخ على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب حينما نلت منه ومن دعوته؟ فأجاب: لا. إنني لم أطلع عليها ولكنني قلت هذا نقلاً عن مشايخي.

فقالا له: ألا ترغب في الاطلاع على كتبه؟ فأجاب: بلى.

قال البسام: (فأتيناه بنسخ من كتبه فدرسها نحو أسبوع، وهو لا يأتي للشيخ محمد بذكر لا بمدح ولا قدح، وبعد ذلك قال للطلبة: إنني في إحدى الليالي السابقة نلت من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، والحق أن كلامي لم يكن على اطلاع على كتبه، وإنما هو تقليد وحسن ظن في مشايخنا، وقد أطلعني بعض إخواننا النجديين على بعض كتبه ورسائله فرأيت فيها الصواب، وأنا أستغفر الله تعالى عما قلت)[1].

ويا ليتنا نسلك هذا التجرد، ونتفكر في الدعوة بعين الإنصاف، ونترك الألقاب المنفرة التي لا تغني من الحق شيئاً، وهذه المقدمة تعيننا على الصعوبة في البحث عن اللقطة من تراجم من نحن بصدد التحقيق لآثاره، وبالله التوفيق.

---

(١) تراجم علماء جدة (ص ٤٠).

ترجمة المؤلف

تكاد تجمع كتب التراجم والطبقات التي تعني بسير أعلام حضرموت على إقصاء ترجمة المؤلف إجماعاً لا يشذ عنه ابن عبيد الله ولا غيره، إذ أنه قد يغرد أحياناً خارج السرب فيأتي بالمسكوت عنه، ومع ذلك لم يفد بشيء عن حياة محمد بن محسن العطاس، وبدا المؤلف مجهول العين والحال معاً، وهذا لا يتفق مع اللقب الذي قلده هذا الشيخ حيث يطلق عليه شيخ السادة بمكة، فكيف يلف سيرته هذا الغموض وكذا رسالته التي نريد تقديمها، وقد يقال: إن حياته كانت بمكة من ناحية، ويطغى عليها الجانب الاجتماعي والسياسي، فوردوها في محلها أشبه بإيرادها في طبقات العلماء من ناحية أخرى.

ولئلا يبهت القارئ باللقب الذي أطلق عليه، فإننا نستطيع أن نستخرج بعض ترجمته من مواقفه التي ذكرها زيني دحلان في كتاب خلاصة الكلام فيما يتعلق بدخول أتباع دعوة ابن عبد الوهاب إلى مكة، وذكره أتى في ثلاثة مواطن:

أحدها: أراد عبد المعين مساعد الذي تركه أخوه الشريف غالب أميراً على مكة حين لم يطق مقاومة جيش النجديين المرابط على مشارف مكة بقيادة الأمير سعود بن عبد العزيز أن يوقع الصلح معهم أول المحرم (١٢١٨ هـ) فأرسل كتاباً يطلب فيه الأمان لجيران البيت الحرام، وأن يكون عامله فيها، واختار لحمل الكتاب من أعيان مكة جماعة منهم الشيخ محمد طاهر سنبل، وشيخ السادة السيد محمد بن محسن، فأعطوا الأمير سعود الكتاب ووافق على مضمونه[1].

---

(١) خلاصة الكلام (ص ٣٧٦).

ثانيهما: بعدما استتم الأمر لسعود بن عبد العزيز بمكة وأذعن له الشريف غالب سنة (١٢٢١ هـ) أرسل وفداً من الدرعية برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمر من كبار علماء نجد بخطاب للصلح، وتأمين البلاد والدعوة إلى التوحيد وهدم القباب، فأطاعهم الشريف غالب، وعاد الوفد بتلك الطاعة وأرسل معه الشريف من جهته شيخ السادة محمد بن محسن العطاس فغاب شهرين ورجع بالجواب بعد ذلك، وأعطاه الجواب[1].

ثالثها: لما حدث النزاع بين عبد المطلب بن غالب ومحمد بن عون كان محمد بن محسن العطاس بالطائف مع ابن غالب، ولما سار محمد بن عون إلى الطائف سنة (١٢٤٣ هـ) ما لبث أن استسلم عبد المطلب بن غالب، وقبض على أعوانه ومنهم محمد بن محسن العطاس، وأرسل إلى مصر، ثم أذن له محمد علي باشا بالعودة إلى مكة سنة (١٢٥٢هـ).

وبهذا نكون قد وصلنا إلى ما عثرنا عليه من ترجمة المؤلف التي تعطينا أمرين: أحدهما: جهوده السياسية، وثانيهما: اقترابه من علماء الدعوة النجدية، فلا يبعد أن يتأثر بهم، ويكون ثمرة هذا التأثر هذا التأليف المبارك.

---

(١) المرجع السابق (ص ٣٩٣).

موضوع المخطوطة

من غير المستبعد أن يتأثر الشيخ محمد بن محسن العطاس بالدعوة إلى تجريد التوحيد بعد أن رأى عن كثب معالمها، وصاحب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر أحد كبار علمائها، وكان قد تبعه إلى الدرعية معقل دعوتهم، بل وغاب عندهم شهرين، فكيف لا يقتبس منها الحق والهدى الذي صاغه، فكان موضوع رسالته.

تدور المخطوطة على ثلاثة أمور:

- **الأول**: الاعتصام بالكتاب والسنة والتحاكم إليهما، ونبذ الشقاق والخلاف.

- **الثاني**: تقرير توحيد الألوهية، وإخلاص العبادة لله التي عليها مدار دعوة الأنبياء، بطريقة القرآن، وجمع النصوص التي فيها إخلاص العبادة، وبيان أهميتها، وذكر شرطيها، وأنواعها.

وقد تم الخلط بين الاستغاثة بالموتى، والتوسل ابتغاء جواز الاستغاثة بالأموات، ودعاءهم في المهمات وهو الشرك الذي نعاه القرآن، وقد أفاض المؤلف في الرد على أهله بالنصوص من الكتاب والسنة.

- **الثالث**: بيان منهج السلف في توحيد الأسماء والصفات القائم على قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١].

والعجب لا ينقضي من افتخار بعض أهل العلم بانتسابهم للأشاعرة الذين خالفوا عقيدة السلف في أمور نذكر خمسة منها:

أولاً: إن حد الإيمان عند السلف قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والأركان، ولكن الأشاعرة في ذلك فارقوهم، واغتروا بتعريف الجهمية فوافقوهم، حيث حصروا الإيمان في التصديق القلبي، واختلفوا في النطق فضلاً عن لأعمال كما قال صاحب الجوهرة:

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

فيا سبحان الله كيف يترك هؤلاء منهج السلف المقيد بالنصوص إلى آراء جهم.

ثانياً: وأما القدر عند السلف فذو أربع مراتب هي: العلم والكتابة والمشيئة والخلق، أي أن الله خالق كل شيء ومنه أفعال العباد، وقد اضطرب الأشاعرة في المرتبة الرابعة فقالوا بمسألة الكسب.

فلله الحمد على سلامة منهج سلف الأمة الذي يعصم من الاضطراب، وتلفيق مسألة الكسب.

ثالثاً: خالف الأشاعرة عقيدة السلف أيضاً في صفة كلام الله ﷻ، وقالوا بالكلام النفسي الذي هو في غاية من التعقيد مستدلين بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فلا إله إلا الله كيف يهجر منهج السلف إلى بيت قاله الأخطل النصراني.

رابعاً: تأويل الصفات الخبرية الذاتية منها كالوجه واليدين، والفعلية كالنزول والاستواء، وجعلوا الاستواء بمعنى الاستيلاء، ولم يُسلِّموا للنصوص والفطرة كالجارية التي سألها الرسول ﷺ: «أين الله؟ قالت: في السماء» رواه مسلم، ومن العجب قصة ابن فورك - أحد أعلام الأشاعرة - حين دخل على السلطان محمود، فقال: لا يجوز أن يوصف الله

بالفوقية لأن لازم ذلك وصفه بالتحتية، فمن جاز أن يكون له فوق، جاز أن يكون له تحت، فقال السلطان: ما أنا وصفته حتى يلزمني، بل هو وصف نفسه، فبهت ابن فورك، فلما خرج من عنده مات فيقال: انشقت مرارته[١].

وبعضهم جارى الفلاسفة حتى قال: الله لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف ولا داخل العالم ولا خارجه[٢].

فالله أكبر ما أسلم اعتقاد السلف وأحكمه وأعلمه.

وحديث الجارية رواه مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم، وهو من الأهمية بمكان، وقد ذكر المؤلف بعض رواياته، قال الذهبي: (ففي الخبر مسألتان: إحداهما: شرعية قول المسلم: أين الله؟ ثانيهما: قول المسؤول: في السماء. فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى)[٣].

وهكذا يتضح لنا من المقدمة أهمية هذه الرسالة التي اكتسبتها من موضوعها، فالله نسأل أن ينفع بها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٨٧).

(٢) حاشية الباجوري على جوهرة التوحيد (ص ٥٨).

(٣) كتاب العلو (ص ٨١).

وصف المخطوطة

كتبت هذه المخطوطة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري تقديراً بخط نسخ معتاد، وهي نسخة جيدة إلا أنها ناقصة الآخر وهي عبارة عن أربعة عشر ورقة، في كل ورقة أربعة وعشرون سطراً، ومقاسها (١٧ × ٢٥ سم).

وهي من قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الرياض.(العقائد) رقم (١٣٥٦).

وكان عملي فيها:

- التقديم بين يديها بمقدمة توضح أهمية الموضوع.

- الترجمة للمؤلف.

- التخريج للأحاديث، والرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤلف.

- التعليق على بعض العبارات، وتوضيح ما تصحف من الكلمات.

الصفحة الأولى من المخطوطة

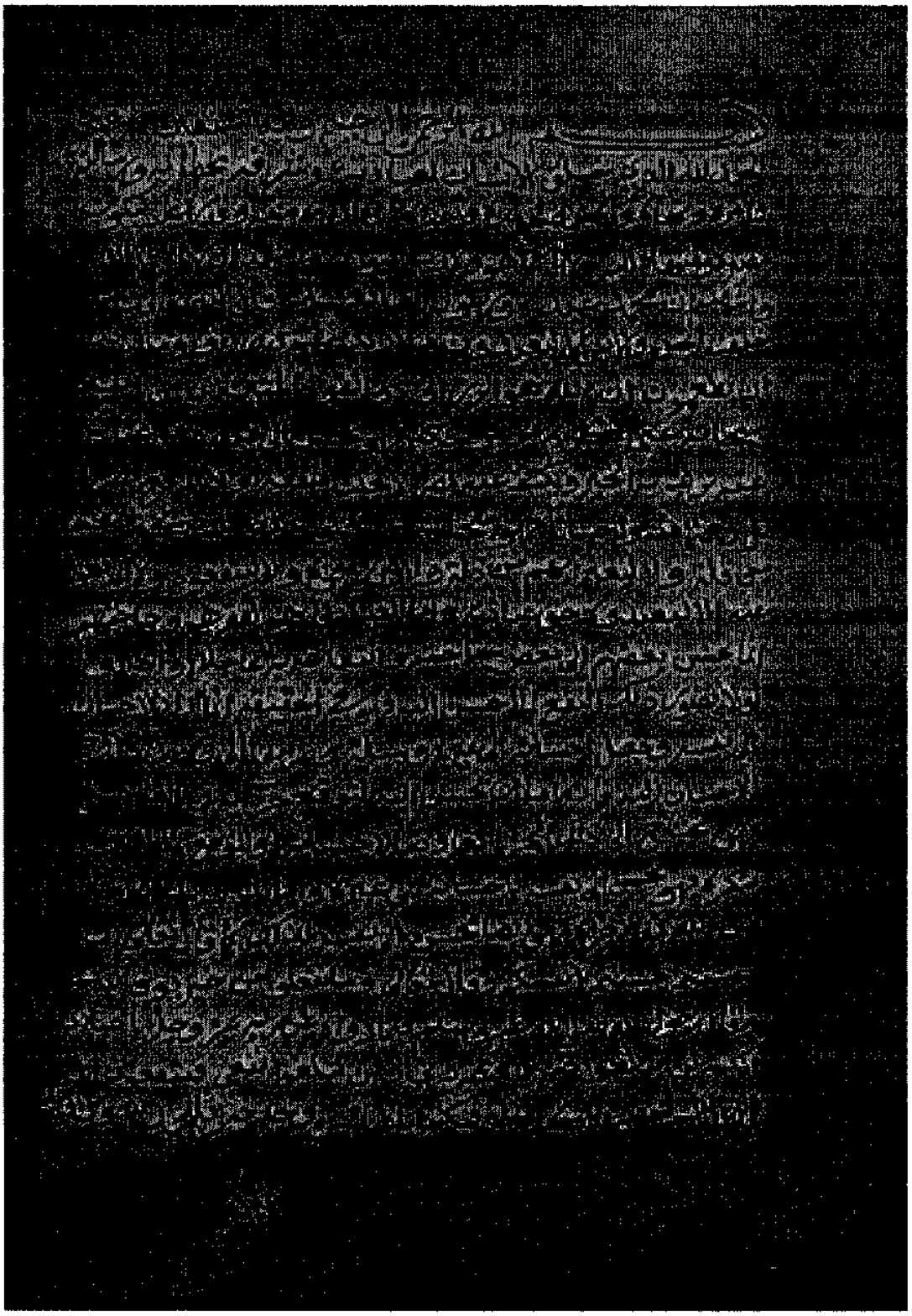

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

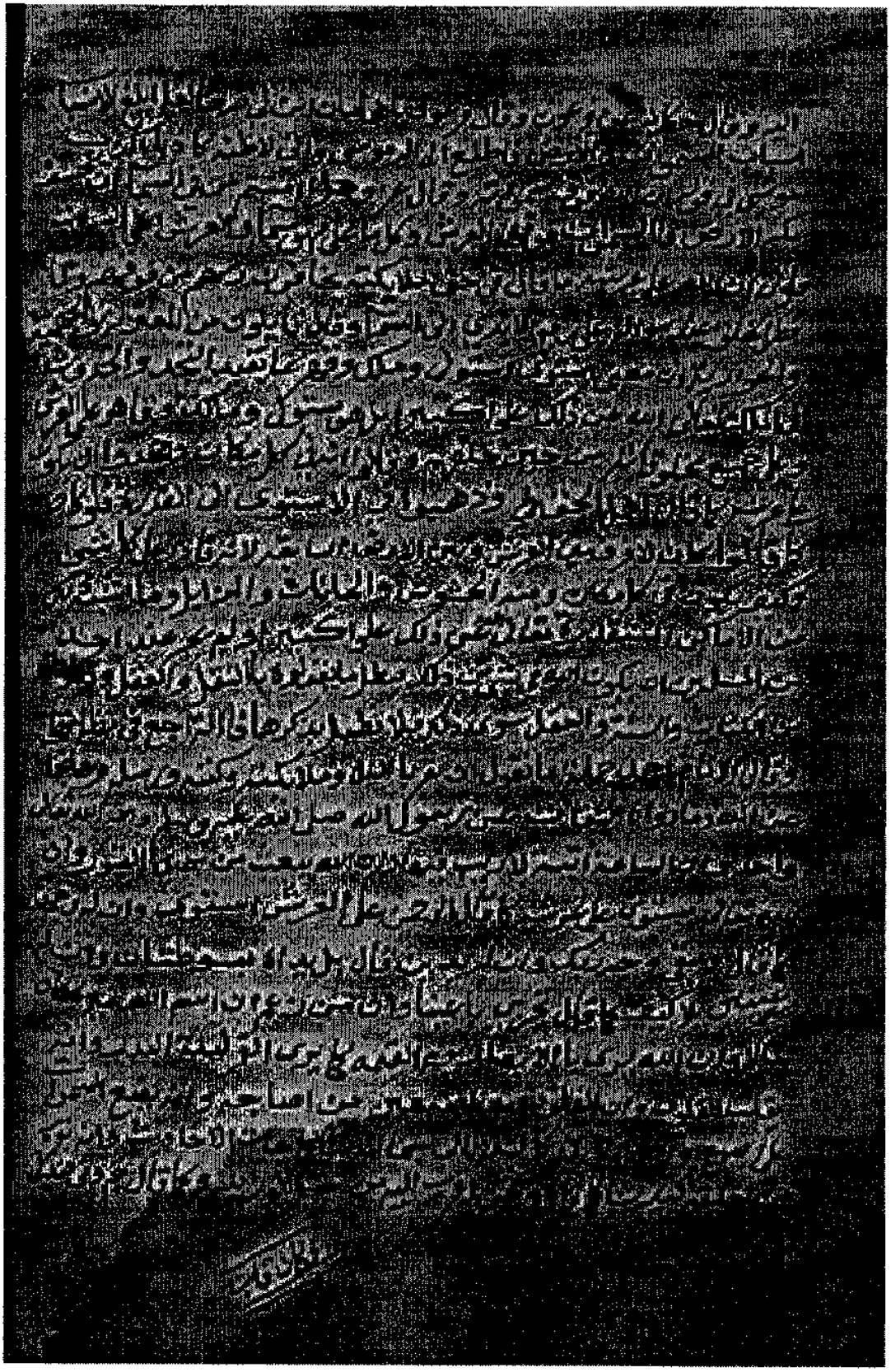

تنزيه الذات والصفات من درن الإلحاد والشبهات

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين آمين.

الحمد لله الذي خلق الإنسان لعبادته، وشرفه بخطابه وبرسالته، وأمره ونهاه، وألهمه فجوره وتقواه، لما أراد منه وقدر عليه، ليكون مصيره ومنتهاه إليه، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الذاريات:٥٦-٥٨] أي: إن الله سبحانه غني كريم، عزيز حكيم، فهو محسن إلى عبده مع غنايته عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحساناً، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليستكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليزدد من قوة، ولا لينفعوه، ولا ليدفعوا عنه، إلا ليعبدوه حق عبادته.

وأما العباد فإنهم لفقرهم وحاجتهم إنما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته وانتفاعه عاجلاً أو آجلاً، ولولا تصور ذلك النفع لما أحسن إليه، فهو في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه، وجعل إحسانه إلى غيره وسيلة وطريقاً إلى وصول ذلك الإحسان إليه، فإنه إما يحسن إليه لتوقع جزائه في العاجل، فهو يحتاج إلى ذلك الجزاء معاوضاً لإحسانه، أو لتوقع حمده وشكره فهو يحسن إلى نفسه بإحسانه إلى غيره، وإما إن يريد الجزاء من الله في الآخرة فهو أيضاً محسن

إلى نفسه بذلك كما قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[الإسراء:٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾[البقرة:٢٧٢]، وقال ﷺ فيما رواه عن ربه ﷻ: «يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(١).

وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾[المؤمنون:١١٥] أي: لعباً أو باطلاً لا لحكمة، وهو منصوب على الحال أي عابثين، وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا ولتعبثوا كما خلقت البهائم لا لثواب ولا لعقاب، وهو مثل قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾[القيامة:٣٦]، وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، وحسبتم أنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة لنجازيكم بما عملتم، ولولا ذلك اليوم لما تميز المطيع عن العاصي، ولا الصديق عن الزنديق، ويكون هذا الخلق عبثاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأول ما يقرع سمعك في المصحف من الأمر بعد ما بين الله مراتب الخلق بين مؤمن وكافر ومنافق ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة:٢١-٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ ﴾ [النساء:٣٦](٢).

أمر تعالى بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المتفضل على خلقه بالآلاء في جميع الحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه في عبادته لا يشركون به شيئاً من مخلوقاته، كما قال ﷺ لمعاذ: «أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: أن يعبدوه ولا

---

(١) رواه مسلم رقم (٤٦٧٤) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٢) من لطيف قول الشيخ استنباطه أول أمر في القرآن في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة:٢١].

يشركوا به شيئاً، ثم قال: أتدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم»[(١)].

وللعبادة شرطان: أحدهما: الإخلاص في العمل يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة:٥] أي: الملة المستقيمة، والشريعة المتبعة، وإنما أضاف الدين للقيمة وهي لغة لاختلاف اللفظين، وأنَّث القيمة رداً إلى الملة، وقيل: القيمة جمع قيم، واحتج بهذه الآية من قال: الإيمان عبارة عن القول والاعتقاد، والعمل هو الدين؛ لأنه تعالى ذكر في هذه الآية مجموع هذه الثلاثة، قال: ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [البينة:٥]، أي: وذلك المذكور دين القيمة؛ لأن الدين هو الإسلام؛ والإسلام هو الإيمان لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [آل عمران:١٩] والإسلام هو الإيمان من وجهين:

الأول: أن الإيمان لو كان غير الإسلام لما كان مقبولاً عند الله لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران:٨٥]، ولكن الإيمان بالإجماع مقبولاً عند الله فلا شك أنه عين الإسلام كما هو ظاهر.

والوجه الثاني: قوله تعالى: ﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦ ﴾ [الذاريات:٣٥-٣٦]، وقال بعضهم: الإشارة في ذلك راجعة إلى الإخلاص له من قوله: ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، وأما مجموع ما تقدم فهي الدين الكامل، أي: المستقل بنفسه[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٥٥١٠)، ومسلم (٤٣).

(٢) هذه المسألة فيها أقوال أشهرها وهو الصواب أن مسمى الإسلام والإيمان إذا قرن أحدهما بالآخر، فإن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة كما في حديث جبريل، وإذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر كما في حديث وفد عبد القيس، والقول الثاني الذي اختاره المؤلف أن الإسلام مرادف للإيمان وهو الذي اختاره البخاري في صحيحه، وذهب إليه الخوارج والمعتزلة، وقد أفاض في تحرير هذه المسألة محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة.

والشرط الثاني: متابعة الرسول ﷺ بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣] قال الأخفش: «عن» في قوله: ﴿ عَنْ أَمْرِهِۦ ﴾ صلة والمعنى يخالفون أمره، وقال غيره: «عن» أصلية، والمعنى يعرضون عن أمره يميلون عن سنته(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧]، وكان سبب نزول قوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ ﴾ [النور:٦٣] الآية، إنه كان ﷺ يعرض في الخطبة بالمنافقين، فإذا سمع المنافقون ذلك خرجوا ولم يصلوا، والثانية نزلت في أموال الفيء والغنيمة(٢).

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهو عام في كل ما أمر به ﷺ، ونهى عنه من قول وعمل كما هو جار في جميع صفات الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين، فكيف وقد أوجب الله تعالى طاعته بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩].

وقال ابن عباس وجابر: هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم على شريعته ومنهاجه، وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد مستدلين على ذلك بقوله: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ

---

(١) انظر كلام الأخفش في تفسير الرازي (٢٤/ ٣٦).

(٢) قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر:٧] وردت في سياق الفيء. انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٧).

- وقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ ﴾ [النور:٦٣] وردت في سياق الاستئذان. قال الرازي في تفسيره (٢٤/ ٣٤-٣٥): (المسألة الثانية: اختلفوا في سبب نزوله. قال الكلبي: كان ﷺ يعرض في خطبته بالمنافقين ويعيبهم، فينظر المنافقون يميناً وشمالاً فإذا لم يرهم أحد انسلوا وخرجوا ولم يصلوا، وإن أبصرهم أحد ثبتوا وصلوا خوفاً، فنزلت هذه الآية، فكان بعد نزول هذه الآية لا يخرج المؤمن لحاجته حتى يستأذن رسول الله ﷺ، وكان المنافقون يخرجون بغير إذن).

﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]. وقال أبو هريرة: هم الأمراء والولاة الذين يعلمون ويحكمون بما أنزل الله على رسوله(١).

وقال علي بن أبي طالب: «حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله على رسوله، وأن يؤدي الأمانة، وإذا فعل ذلك فحق على الرعية أن يسمعوا له ويطيعوا»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني»(٣).

وعن نافع عن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٤).

وقال عبادة بن الصامت: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، وأن نقوم - أو نقول - الحق حيث ما كان فلا نخاف في الله لومة لائم»(٥).

فعن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «اسمع وأطع ولو لعبد حبشي كأن رأسه زبيبة»(٦).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٤٧)، تفسير ابن كثير (١/ ٥١٩).

(٢) رواه سعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٨٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٢٥٣٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ١٤٥) من طريق مصعب بن سعد قال: قال علي ﷺ كلماتٍ أصاب فيهن:«حقٌّ على الإمام...» ومصعب بن سعد بن أبي وقاص كان ثقة كثير الحديث، مترجم في التهذيب. انظر: تقريب التهذيب (٦٦٨٨)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٤٥).

(٣) رواه البخاري (٣٧٣٧)، ومسلم (٢٤١٧).

(٤) رواه البخاري (٦٦١١)، ومسلم (٣٤٢٣).

(٥) رواه البخاري (٦٦٦٠)، ومسلم (٣٤٢٦).

(٦) رواه البخاري (٦٥٢) عن أنس مرفوعاً ولفظه: «اسمعوا وأطِيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبِيبَة» وعند مسلم (١٠٢٩) وأحمد (٢١٤٦٥) وغيرهما من حديث أبي ذر مرفوعاً: «اسمع وأطع، ولو لعبد حبشي مجدَّع الأطراف».

وعن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس اتقوا الله، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم»[(١)].

فطاعة هؤلاء من طاعته ﷺ الواجبة على كل مكلف، وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ ﴾ [النساء:٥٩] أي: إلى كتاب الله، وإلى رسوله في حياته، وبعد وفاته إلى سنته، وقال مجاهد وغير واحد من السلف: هذا أمر من الله ﷻ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنته[(٢)].

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾ [الشورى:١٠] فيما حكم به كتاب الله، وسنة رسوله، وهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال، ولهذا قال: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ﴾ [النساء:٥٩] أي: ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله، فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، فدل على أن من لا يتحاكم في مجال التنازع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك ليس مؤمناً بالله واليوم الآخر.

فالرد إلى الكتاب والسنة واجب بصريح الأمر، وتعليق الإيمان عليه وجوداً وعدماً لأن الوعيد عائد إلى قوله: ﴿ فَرُدُّوهُ ﴾ [النساء:٥٩] والشرط جوابه محذوف عند جمهور البصريين، أي: فردوه إلى الله وهو المتقدم عند غيرهم.

كما جاء الوعيد بقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ﴾

---

(١) رواه الترمذي (٦١٦) من طريق سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة يقول.. وذكر الحديث، فقلت لأبي أمامة: منذ كم سمعت من رسول الله ﷺ هذا الحديث؟ قال: سمعته وأنا ابن ثلاثين سنة. والحديث صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٨٦٧).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥١٩) سورة النساء آية (٥٩).

[النساء:٦٥] فالوعيد عائد إلى التحاكم، و(لا) أصلية، والمعنى ليس كالأمر أنهم آمنوا وهم يخالفون حكمك، ثم استأنف القسم بعد ذلك فعلى هذا يكون الوقف على (لا) تاماً، وقيل: إن (لا) مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم، فقد جاء في الحديث: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[(١)].

وسبب نزول هذه الآية لما رواه ابن أبي حاتم عن الأسود قال: اختصم رجلان على رسول الله ﷺ فقضى بينهما، فقال الذي قضي عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فقال: نعم انطلقا إليه، فقال الرجل: يا ابن الخطاب قضى لي رسول الله ﷺ على هذا فقال: ردنا إلى عمر، فردنا إليك فقال: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانكم حتى أخرج إليكما فأقضي بينكما، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه، فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر فقتله، فقال: يا رسول الله! قتل عمر والله صاحبي، ولو ما إني أعجزته لفتكني، فقال رسول الله ﷺ: كنت ما أظن أن عمر تجرأ على قتل مؤمن، فأنزل الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ فهدر دم ذلك الرجل، وبرئ عمر من قتله[(٢)].

فعلى هذا تكون الآية متعلقة بما قبلها وهو أقرب للمقام من السبب الآتي ذكره، وبه قال مجاهد وعطاء والشعبي وغيرهم من علماء السلف[(٣)].

---

(١) حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أورده النووي في أربعينه: هذا حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح، وفي سنده نعيم بن حماد وهو ضعيف لكثرة خطئه. وذكر له الحافظ ابن رجب علاً أخرى في شرح الأربعين النووية.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٩٤) قال: (أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأ ابن وهب أخبرني عبد الله بن لهيعةَ عن أبي الأسود ...)، وفيه ابن لهيعة. قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (٣٥٦٣): (صدوق خلط بعد احتراق كتبه، ورواية بن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ١٦٠) تفسير الآية المذكورة.

وقيل: نزلت في أنصاري مجهول، وقيل: في حاطب بن أبي بلتعة الأنصاري حينما اختصم مع الزبير عند رسول الله ﷺ في شرج الحرة، فحكم ﷺ فنزلت هذه الآية، وعلى هذا تكون الآية مستأنفة حينئذ، والشراج مسايل الماء ﴿ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[النساء:٦٥][(١)].

وفي الأمر قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وقال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» أي: صاحبها[(٢)].

فلا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه.

ومعنى لا إله إلا الله توحيده في عبادته مع التبرؤ من كل معبود سواه، كما أخبر عن نبيه إبراهيم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧] فهذا هو الذي تضمنه قول: لا إله إلا الله.

وقد دعت الرسل إلى قول هذه الكلمة، واعتقادها، والعمل بها لا مجرد قولها باللسان، ومعناها هو إفراد الله بالألوهية والعبادة، والنفي لما يعبد من دونه، والبراءة منه كما حكى الله عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]، وقال ﷺ: «من

---

(١) حديث الزبير مع الأنصاري متفق عليه رواه البخاري (٢١٨٧)، ومسلم (٤٣٤٧). وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٩٤) عن سعيد بن المسيب أنها أنزلت في الزبير بنِ العوام وحاطب بنِ أبِي بلتعةَ، قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٢): (هذا مرسل ولكن فيه فائدة تسمية الأنصاري).

(٢) الحديث الأول رواه مسلم (٣٢٤٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، والحديث الثاني حديث خطبة الحاجة بزيادة: «وكل ضلالة في النار» رواه النسائي (١٥٧٨)، وهو صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم (١٣٥٣)، إرواء الغليل (٣/ ٧٣).

قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» رواه مسلم[١].

فحينئذ من لا يكفر بكل معبود سوى الله لا يحرم دمه وماله، ولا يكون مسلماً بمجرد التلفظ بلا إله إلا الله إلا ذا أضاف إليها الكفر بما يعبد من دون الله، ولا بمعرفة معناها مع التلفظ بها، بل ولا كونه يدعو إلا الله ولم يكفر بما يعبد من دون الله لم يكن مسلماً بذلك فلا يحرم دمه وماله، فهذا أصل لا مرية فيما تضمنه ولا شك فيه، وأنه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويعمل به.

فإن قيل: فذكر ﷺ على أسامة قتله لمن قال: لا إله إلا الله[٢].

الجواب: إنه لا شك أن من قال: لا إله لاّ الله من الكفار حقن دمه وماله حتى يتبين منه ما يخالف ما قاله، ولذا أنزل الله في قصته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء:٩٤] الآية، فإن يتبين التزامه لمعناها وهو إفراد الألوهية والعبودية لله تعالى كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن تبين خلافه لم تحقن بمجرد التلفظ ماله ودمه، وهكذا كل من أظهر التوحيد وطلب الكف عنه إلى أن يتبين عنه ما يخالف ذلك.

واعلم أن التوحيد قسمان:

---

(١) رواه مسلم (٣٤) من طريق أبي مالك الأشجعي عن أبيه مرفوعاً، واسم أبيه طارق بن أشيم، في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يَقولوا: لا إِله إِلا الله محمد رسول الله.

(٢) روى البخاري (٣٩٣٥)، ومسلم (٩٦) عن أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا أسامة! أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟!» قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

- القسم الأول: توحيد الربوبية والخالقية ونحوها، ومعناها أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الرب والرازق لهم، وهذا كله لا ينكره المشركون، ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل مقرون به كما أخبر الله عنهم في مواضع من كتابه.

- والقسم الثاني في توحيد العبادة الآتي بيانها، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شريكاً، ولفظ شريك يشعر بالإقرار بالله تعالى[1].

فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين لله عند قولهم في خطاب المشركين: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبراهيم:١٠]، ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر:٣] وتنهاهم عن شرك العبادة ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [النحل:٣٦] أي: قائلين لأممهم أن اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت، وهو كل ما يعبد من دون الله، فأفاد بقوله تعالى: ﴿ فِي كُلِّ أُمَّةٍ ﴾ أن جميع الأمم لم ترسل إليهم الرسل وتبعث إلا لطلب توحيد العبادة لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم، وأنه رب السماوات والأرض، فإنهم مقرون بذلك، ولهذا لم تر الآيات في الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير نحو ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل:١٧]، ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم:١٠]، ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:١٤]، ﴿ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان:١١]، ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر:٤٠] استفهام تقرير لهم؛ لأنهم مقرون بهذا العرف إن المشركين لم يتخذوا الأوثان والأصنام ليعبدوها، ولم يتخذوا المسيح وأمه، ولم تتخذ الملائكة شركاء لله تعالى في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم بل اتخذوهم بأنهم يقربونهم إلى الله زلفى

---

(١) لا مشاحة بين تقسيم الشيخ للتوحيد ومن أضاف توحيد الأسماء والصفات إذ مبنى ذلك على استقراء أفراده في النصوص. والشيخ جعل باب الأسماء والصفات تابعة للإيمان بالذات فقال: (إيماننا بما يثبت في نعوته كإيماننا بذاته المقدسة...).

كما قالوه، فهم مقرون بالله تعالى في نفس كلمات كفرهم، وأنهم شفعاء عند الله تعالى ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[يونس:١٨]، فجعل ﷻ اتخاذهم للشفعاء شركاء، ونزه نفسه عن أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكيف يثبتون شفعاء لم يأذن الله لهم في الشفاعة، ولا يغنون عنهم من الله شيئاً؟

والعبادة أنواع:

- **اعتقادية**: وهي أساسها، وهي أن تعتقد أن الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر وبيده النفع والضر، وأنه الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق إلا هو، وغير ذلك مما يجب من لوازم الألوهية.

- **ومنها اللفظية**: وهي النطق بكلمة التوحيد، فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله، وكان كإبليس، فإنه يعتقد التوحيد بل ويقر به إلا أنه لم يمتثل لأمر الله بالسجود، فيكفر، ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه وحسابه إلى الله، وحكمه حكم المنافقين.

- **وبدنية**: كالقيام والركوع والسجود في الصلاة، ومنها الصوم، وأفعال الحج والطواف، وما يليه كإخراج المال امتثالاً لما أمر الله تعالى به، وأنواع الواجبات والمندوبات في الأبدان، والأموال، والأفعال، والأقوال كثيرة لكن هذه أمهاتها.

وإذا تقررت هذه الأمور فاعلم أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى أفراد الله بالعبادة، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه، إذ هم مقرون بذلك كما ذكرناه، ولم يعبدوا الأصنام بالخضوع لهم، والتقرب بالنذر والنحر لهم إلا لاعتقادهم أنها تقربهم من الله، وتشفع لهم لديه، فأرسل الله الرسل تأمرهم بترك عبادة ما سواه، وأن هذا الاعتقاد الذي يعتقدونه في الأنداد باطل، والتقرب إليهم باطل، وإن كل ذلك لا يكون إلا لله

وحده.

وأمر عباده أن يقولوا: إياك نعبد، ولا يصدقوا قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله، وإلا كان كاذباً فيها من أن يقول هذه الكلمة، إذ معناها: نخصك بالعبادة، ونفردك بها، وهو معنى قوله: ﴿ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت:٥٦]، ﴿ وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [البقرة:٤١]، لما عرف من علم البيان أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، أي: لا تعبدوا إلا الله، ولا تعبدوا غيره، ولا تتقوا إلا الله وألا تتقوا غيره كما في الكشاف[1].

فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا أن يكون جميعها كلها له، والنداء في الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده، والاستغاثة والاستعانة لله وحده، واللجوء إلى الله، والنذر له، والنحر له، وجميع أنواع العبادة، ومن يفعل شيئاً من ذلك لمخلوق من حي أو ميت أو جماد فقد أشرك في العبادة، وصار من يفعل له هذه الأمور إلهاً لعابديه سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو ولياً، أو شجراً، أو قبراً، وصار بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق، وإن أقر بالله وعبده، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك، وعن وجوب سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، ونهب أموالهم، فالله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل عملاً شورك فيه غيره، ولا يؤمن به من عبده مع غيره كما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»[2].

وقد عرفت من هذا أن من اعتقد في حجر أو قبر أو ملك أو حي أو ميت أنه ينفع ويضر، وأنه يقرب إلى الله، أو يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرد الشفع به إلى

---

(١) الكشاف للزمخشري سورة العنكبوت آية (٥٦) وسورة البقرة آية (٤١).

(٢) حديث أبي هريرة مرفوعاً رواه مسلم رقم (٥٣٠٠).

الرب تعالى إلا ما ورد في حديث فيه مقال في حق نبينا ﷺ ونحو ذلك، فإنه قد أشرك مع الله غيره، واعتقد ما لا يحل اعتقاده لقوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف:١١٠][(١)].

وعن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله: يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[(٢)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ فليقرأ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام:١٥١]»[(٣)].

وعن معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال: يا معاذ! أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «إن حق الله على

---

(١) الحديث المشار إليه هو حديث الأعمى المشهور عن عثمان بن حنيف مرفوعاً: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد! إني أتوجه بك إلى الله في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في». رواه أحمد (١٧٢٧٩) والترمذي (٣٥٧٨) وقال: (لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وليس الخطمي). ومن قال: أن فيه مقال ذهب إلى أنه الرازي وهو صدوق ولكنه سيء الحفظ، قال الألباني في كتاب التوسل (ص٦٩-٧٠) بأن الصواب أنه الخطمي نفسه، وهكذا نسبه أحمد (١٧٢٨٠) في رواية له، وسماه في أخرى: (أبا جعفر المدني) وكذلك سماه الحاكم (١١٨٠)، والخطمي هذا لا الرازي هو المدني. وقوله: (اللهم فشفعه في) أي: اقبل شفاعته ﷺ، أي: دعاءه في.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وهو صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٢٧)، وصحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٣) رواه الترمذي (٣٠٧٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٩١٨)، وإسناده ضعيف، ولفظ الترمذي: «من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم محمد ﷺ...».

العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا» أخرجه في الصحيحين[1].

ومما تساهل فيه الناس من أنواع العبادة دعاء المسألة الذي أخبر الله به ﷻ عن موسى وهارون بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس:٨٨]، قال العلي العظيم: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ [يونس:٨٩] أي: ما سألتماه ﴿ فَٱسْتَقِيمَا ﴾ [يونس:٨٩] على دعوة الله إلى أن يأتيهم العذاب.

وأخبر ﷻ عن زكريا عليه السلام بقوله: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ ﴾ ﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ أي: دعا ﴿ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ أي: دعا الله سراً في قومه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ ﴾.

وأخبر ﷻ عن أيوب عليه السلام بقوله: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ ﴾ أي: دعا ربه ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ قال الجمهور: هو أمر بالدعاء الذي هو أخص من العبادة لقوله تعالى: ﴿ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وقيل: إنه أمر بالعبادة التي هي أعم من الدعاء.

قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ﴾ فأجيب عن ذلك بأن الدعاء اعتراف بالعبودية والذلة والمسكنة، فما يتركه إلا مستكبر عن إظهار العبودية، ولما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة.

---

(١) سبق تخريجه.

وعن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «الدعاء هو العبادة» ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ أي: صاغرين، أخرجه أبو داود والترمذي وقال: (حديث حسن صحيح)[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «إنه من لم يسأل الله يغضب عليه» أخرجه الترمذي[2].

وعنه عن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء» أخرجه الترمذي[3].

فإذا استكملت شروط الدعاء قبلت الإجابة قطعاً بالوعد الحق، ولما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ: «ما من رجل يدعو الله إلا استجاب له إما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يدخره له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل، قالوا: يا رسول الله! وكيف يستعجل؟ قال: يقول: دعوت ولم يستجب لي»[4].

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨). وانظر: صحيح الجامع رقم (٣٤٠٧).

(٢) جامع الترمذي (٣٣٧٣). وهو حسن. انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني.

(٣) جامع الترمذي (٣٣٧٠). قال الألباني: حسن. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٢٧) رقم (١٦٢٩).

(٤) لفظ مسلم (٢٧٣٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل ». قيل: يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي. فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء».

وجاء عند البخاري في الأدب المفرد (٦٥٥) عن أبي هريرة قال: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل فيقول: دعوت فلا أرى يستجيب لي، فيدع الدعاء».

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ ﴾قال ابن عباس: قال يهود بالمدينة: يا محمد! كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وغلظ كل سماء خمسمائة عام؟ فنزلت هذه الآية(١).

وقيل: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ فقالوا: أقريب ربنا فنناجيه أو بعيد فنناديه؟ فنزلت هذه الآية بقوله: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾أي: بالعلم لا يخفى عليه شيء(٢).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ ﴾أي: المكروب من مرض وبلاء ونازلة ونوازل الدهر، فإذا أنزلت بأحد بادر إلى الالتجاء والتضرع إلى الله تعالى، فيجيب دعوته فيكشف السوء، أي ما به من مرض، وكرب، وبلاء؛ لأنه لا يقدر على تغيير الحال من فقر إلى غنى، ومن مرض إلى صحة، ومن ضيق إلى سعة إلا القادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ تدعونه في جلب النفع، وكشف الضر ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ أي: تتعظون.

وجاء عند أحمد (٢٢٨٣٧) والترمذي (٣٥٧٣) من حديث عبادة بن الصامت حدثهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم. فقال رجل من القوم: إذاً نكثر. قال: الله أكثر». وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٦٣٧).

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٣٠٨)، الحديث المشار إليه ضعيف. انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني (١/ ٢٥٤).

(٢) رواه ابن جرير (٢/ ١٥٨) والبغوي في معجمه وابن أبي حاتم (١/ ٣١٤) وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٣٥) وابن مردويه من طريق الصلت بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده قال: جاء رجل... فأنزل الله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ﴾[البقرة:١٨٦]. انظر: الدر المنثور (١/ ٤٦٩).

وقال صاحب الكشاف: الاضطرار الحالة المحوجة إلى الالتجاء، فقال: اضطره إلى كذا، والفاعل المفعول مضطر، وهو من أصابه مرض أو فقر أو نازل نزل به أحوجه إلى التضرع إلى الله، وقال السدي: الذي لا حول له ولا قوة[1]. والخلاف لفظي.

﴿ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾فإنه لا يقدر أحد على كشف ما به من مرض إلى صحة من فقر إلى غنى ومن ذل إلى عز ومن خوف إلى أمن إلا القادر الذي لا يعجزه شيء.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾أي: ادعوهم ليكشفوا عنكم شيئاً، وقال تعالى: ﴿ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾الضر الذي نزل بكم فإنهم ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من خير وشر ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ أي: لا شريك ولا معين ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ تكذيباً لهم حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾القشرة الرقيقة التي على النواة ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ ﴾ على سبيل الغض والتقدير، لأن «لو» حرف امتناع لامتناع ﴿ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ أي: ما أجابوكم فيما سألتموه ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ أي: يتبرؤون منكم ومن دعائكم ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والخبط، فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعوا لهم، فقال الله ﷻ: قل للمشركين: ﴿ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ ﴾أي: الجوع ﴿ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ ﴾ إلى

---

(١) الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨١) تفسير سورة النمل آية (٦٣). وكذا وقال السيد: وكلاهما تصحيف.

غيركم[1].

والمقصود من الآية حيث قالوا: ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله، فنحن نعبد هؤلاء المقربين إلى الله وهم الملائكة، ثم أنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً وصورة، واشتغلوا بعبادته، فاحتج على بطلان قولهم بهذه الآية ثم قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾يعني: الذين يدعونهم المشركين ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ أي: القربة والدرجة العليا، قال ابن عباس: هو سبحانه، وأنه العزيز والملائكة.

وقال ابن مسعود: (نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن فأسلم أولئك الجن ولم يعلم الأنس بذلك، فتمسكوا بعبادتهم، فغيرهم الله من حال إلى حال، وأنزل هذه الآية)[2].

وقوله تعالى: ﴿ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾معناها أيهم ينظرون بهم أقرب إلى الله فيتوسلون به، وقيل: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله بالعمل الصالح، وعليه الأكثرون ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ ﴾ أي: جنته، ﴿ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ ناره كغيرهم، فإذا كان الملائكة والمسيح والعزير لا يقدرون على كشف الضر، وجلب النفع فكيف بغيرهم من الجماد وخلافه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إن عبدته بشيء من أنواع العبادة ﴿وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ إن تركت عبادته ﴿ فَإِن فَعَلْتَ ﴾ ما نهيتك عنه فعبدت غيري، أو طلبت النفع وكشف الضر من غيري ﴿ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ فهذا الخطاب وإن كان للنبي ﷺ فالمراد به غيره لأنه

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ١٢٠) سورة الإسراء آية (٥٦).

(٢) انظر: صحيح مسلم (٣٠٣٠)، كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء:٥٧].

ﷺ لم يدع من دون الله شيئاً البتة، فعلى هذا المعنى المراد: ولا تدع من دون الله أيها الإنسان ما لا ينفعك ولا يضرك.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥ ﴾ يعني: الأصنام لا تجيب دعاء عابديها فيما يسألونها ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ أي: لا تجيبهم ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ ﴾ أي: لا يسمعوا ولا يفهموا ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ أي: جاحدين، وكل من دعا من دون الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك، لأن الدعاء اعتراف بالعبودية، فبدعائه له صيره إلهاً.

وقال تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ يعني دعوة الصدق، وقال علي: دعوة الحق التوحيد، وقال ابن عباس: دعوة الحق شهادة أن لا إله إلا الله. والخلاف بينهما لفظي[1].

وقال صاحب الكشاف: (فدعوة الحق فيها وجهان:

أحدهما: أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به، وأنه بمعزل عن الباطل، والمعنى أن الله يدعى فيستجيب الدعوة، ويعطي الداعي سؤاله.

والوجه الثاني: أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة الحق الذي يسمع ويجيب)[2].

وعن الحسن: أنه الحق وكل دعاء إليه دعوة الحق، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي:

---

(١) أما أثر علي وابن عباس فرواهما الطبري في تفسيره (١٣/ ١٢٨)، وإسناد أثر علي منكر، فيه سيف بن عمر الضبي وهو ضعيف ساقط الحديث، ليس بشيء. انظر: الضعفاء للأصبهاني (ص٩١).

(٢) الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٩٠-٤٩١)، سورة الرعد آية (١٤)، وفي الكشاف «دعوة المدعو الحق».

يدعونهم من دون الله ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ أي: لا يجيبونهم فيما يسألون منهم من باب نفع ودفع ضر إذا دعوهم ﴿ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ ﴾ كمن بسط كفيه إليه يطلب أن يبلغ فاه، وكذلك ما يدعونه جماداً لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع إجابتهم، وقيل: شبههم في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم من أراد أن يغرف الماء بيده ليشربه فبسطها ناشر أصابعه لا يكون منه في يده شيء، كذلك الذي يدعو الأصنام لأنها لا تضر ولا تنفع ولا بيده منها شيء.

وقال مجاهد: العطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد وهو يشير بكفيه إلى الماء، ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً. وقال عطاء: كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده إلى الماء فلا هو يبلغ الماء ولا الماء يرتفع إليه، فلا ينفعه بسط الكف في الماء ودعاءه له كذلك، فالذين يدعون الأصنام لا ينفعهم دعاؤهم. وقال ابن عباس: كالعطشان إذا بسط كفيه إلى الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف، ولا يبلغ الماء فاه ما دام باسط كفيه إلى الماء[1].

﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ ﴾ أي: كل مدعو سواه مضل فمن دعاه إذا احتاج إليه، وقال ابن عباس: إن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى، وهو مثل ضربه الله لمن يدعو غيره فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ ﴾ أي: ملك لله ﴿ أَمْثَالُكُمْ ﴾ لا يملكون لأنفسهم شيئاً، فالذي لا يملك لنفسه شيئاً من نفع كيف يتصور في حقه النفع لغيره ﴿ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ في دعواكم.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ ﴾ يعني قل: يا محمد! تزكى عباد الله وحده، وعبدوا غيره من

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ١٢٩)، تفسير البغوي (٣/ ١٢).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ١٢).

الأصنام أخبروني، تقول: أريتك يعني أخبرني بحالك، وأصله أرأيتم، الكاف للتأكيد ﴿ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾ قبل الموت مثل ما نزل بالأمم الماضية ﴿ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ أي: القيامة ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ ﴾ في كشف العذاب عنكم ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ في دعواكم، ومعنى الآية أن الكفار إذا نزل بهم بلاء وشدة رجعوا إلى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الأصنام فقيل لهم: أترجعون إلى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه وتطيعونه في السر والرخاء ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ ﴾ من الضر الذي من أجله دعوتموه، وإنما قيد الإجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة، وإن كانت جميع الأمور بمشيئته ﷻ ﴿ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ أي: تتركون دعاء الأصنام التي تدعونها لأنها لا تضر ولا تنفع، وقيل: المعنى تركتم دعاء الأصنام بمنزلة من قد نسيها، وهذا قول الحسن[1].

فقد نفى الله عما سواه ما ينطق به المشركون من دعاء غيره من أن يكون له شريك في مثقال ذرة من نفع أو ضر كما قال لنبيه وخليله: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ ﴾.

وقال ﷺ في حديث ابن مظعون: «ما أدري ما يفعل به»، وفي رواية: «ما يفعل بي وأنا رسول الله»[2].

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٤٢٣).

(٢) روى البخاري في صحيحه (١١٦٦) باب الدخول على الميت بعد الموت «أن أم العلاء -امرأة من الأنصار بايعت النبي ﷺ- أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله ﷺ فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟

وفي الصحيح عن أنس قال: «شج النبي ﷺ يوم أحد فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم فنزلت عليه ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾»[1].

وفيه عن ابن عمر أنه سمع النبي ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً» بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، فأنزل الله عليه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[2].

وقال ﷺ حين نزلت عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ صعد إلى الصفا فقال: «يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، ويا عباس ابن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً، سليني من مالي ما شئت»[3].

فإذا كان سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، وحبيب رب العالمين لا يملك لنفسه، ولا أقاربه نفعاً ولا ضراً، فكيف بغيره من لا يعلم حاله في ربه! ولا مصيره إلى نعيم أو جحيم.

فإن قيل: كان فيمن عبد الملائكة وعيسى وأمه والله يقول: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾؟!

قال ابن القيم:

فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه؟ فقال: أما هو فقد جاءه اليقين، والله لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي؟ قالت: فوالله لا أزكي أحد بعده أبداً».

(١) رواه البخاري مسلم (٣٣٤٦) وأحمد في المسند (١٣٦٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣٧٦٢).

(٣) رواه مسلم (٣٠٥).

(في الآية دليل على جواز الخطاب العام وإرادة الخاص من غير بيان تفصيلي ولا إجمالي، فإن لفظة «ما» عام يشمل المعبودين سوى الله، ولم يرد العموم مع تأخير بيان المخصص، فإنه لما نزلت هذه الآية قال ابن الزبعري: والله لألزمن محمداً بهذه الآية فحضر عند النبي ﷺ وقال: لقد عبدت الملائكة وعبدت عيسى فيجب أن يكون هؤلاء حصب جهنم وهو خلاف في دينك يا محمد، فسكت رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه فنزل بعد حين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾فقد أطلق العام مع إرادة الخاص، وبيَّن بعد حين.

واعترض على هذا الدليل بأننا لا نسلم احتياج الآية إلى البيان وإنما تحتاج إليه لو دخلت الملائكة وعيسى في عموم الآية وهو ممنوع؛ لأن «ما» لغير من يعقل فلا تتناول الملائكة ولا عيسى، ولهذا نقل في بعض الروايات أن النبي ﷺ قال لابن الزبعري: ما أجهلك بلغة قومك؟! أما علمت أن «ما» لما لا يعقل ومن لم يعقل، وإنما نزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ لزيادة بيان الجهل المعترض لا بيان الملائكة السابقة، وإن سلم أن كلمة «ما» تتناولهم فلا تحتاج الآية إلى البيان أيضاً لأن العقل يحكم بخروجهم عن الآية؛ لأن تعذيب الملائكة وعيسى بذنب الغير -وهو عبادة الناس إياهم- غير جائز عقلاً، وإنما يجوز تعذيبهم لو كانوا راضيين بذلك وهو مستحيل في حقهم)[1].

فإذا عرفت ما تقدم من توحيد العبادة فاعلم أن إيماننا بما يثبت في نعوته كإيماننا بذاته المقدسة، إذ الصفات تابعة للموصوف، فنعقل وجود الباري ونميز ذاته المقدسة من الأشباه من غير أن تنعقل الماهية، فكذلك القول في صفاته نؤمن بها ونعقل وجودها، ونعلمها في الجملة من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ونقول كما قاله السلف الصالح:

---

(١) انظر: شفاء العليل (١/ ٢٦)، الباب الثامن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠١].

آمنا بالله على مراد الله، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فالاستواء معلوم من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وكل ما وصف الله به نفسه وجب الإيمان به كما يجب الإيمان بذاته، والكيف مجهول فيه لاستحالة تصوره لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾.

ومن ليس له مثل لا يمكن التصور في ذاته وصفاته شرعاً ولا عقلاً، ومن أوّل فقد تصور المستحيل في حقه ﷻ من المشابهة للحوادث، فما وسعهم مما تصوروه من التشبيه الواقع في أذهانهم إلا الفرار منه إلى التعطيل، فأولوا اليدين بالقدرة، وقد أثبت الله تعالى لنفسه يدين وقدرة، وأولوا الاستواء بالاستيلاء المفيد للتجدد والحدوث في الملك، وهو مستحيل في حقه ﷻ، وعطلوا صفتين من صفات الله فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ وقال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ وقوله: ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ أي على الأرض وجذوع النخل،

وكذلك في السماء أي في العرش فوق السماء، إلى غير ذلك من نصوص القرآن العظيم جل منزله، وتعالى قائله.

أما السنة فمن الأحاديث الواردة في العلو، حديث عن معاوية بن الحكم السلمي قال: «كانت لي غنم بين أحد والجوانية، فيها جارية لي، فاطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، وأنا رجل من بني آدم فأسفت فصككتها ، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك علي فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ قال: ادعها فدعوتها، فقال: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال: أعتقها فإنها مؤمنة بهذا» حديث صحيح أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي، وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم[1].

وقال معاوية بن يسار حدثني صاحب الجارية مستفهماً من في السماء قال: كانت لي جارية ترعى.. الحديث، وفيه: «فمد النبي ﷺ إليها يده إليها مستفهماً من في السماء؟ قالت: الله، قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مسلمة» صح.

وقال النسائي في تفسيره قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾: أنا قتيبة عن مالك عن هلال بن أسامة عن عمر بن الحكم قال: «أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! أن جارية لي كانت ترعى غنماً فجئتها ففقد شاة من الغنم سألتها عنها فقالت: أكلها الذئب، فأسفت عليها، وكنت رجلاً من بني آدم فلطمت وجهها وعلي رقبة، أفأعتقها؟ فقال لها رسول الله ﷺ: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: فمن أنا، قالت: أنت رسول الله، قال: فأعتقها»، كذا أسماه مالك عن عمر بن الحكم[2].

---

(١) انظر: صحيح مسلم (٨٣٦) باب تحريم الكلام في الصلاة، سنن أبي داود (٧٩٥) باب تشميت العاطس، سنن النسائي (١٢٠٣) باب الكلام في الصلاة.

(٢) قال النسائي في السنن الكبرى (٧٧٥٦): أخبرنا قتيبة بن سعيد عن مالك والحارث بن مسكين قراءة عليه عن ابن القاسم قال: حدثني مالك عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم ... قال الحافظ في التلخيص(٣/ ٢٢٢): (وهو من أوهام مالك).

وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ بجارية أعجمية فقال: «يا رسول الله إن علي رقبة مؤمنة فأعتق هذه؟ فقال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء، قال: فمن أنا؟ فأشارت إلى رسول الله ﷺ ثم إلى السماء، قال: أعتقها فإنها مؤمنة»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ ومعه جارية سوداء أعجمية، فقال: علي رقبة فهل تجزي هذه عني؟ فقال: أين الله؟ فأشارت بيدها إلى السماء، فقال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: أعتقها فإنها مؤمنة»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٧٨٩٣) في مسند أبي هريرة، ورواه البزار والطبراني في الأوسط (٢٥٩٨). قال الهيثمي مجمع الزوائد (١/ ١٧١): (ورجاله موثقون)، قال: أخبرني المسعودي، عن عون بن عبد الله، عن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة. والمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود. قال الحافظ في التقريب (٣٩١٩): (اختلط وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط).

وقصة اختلاطه ذكرها الذهبي في ميزان الاعتدال (٤/ ٢٩٨) عندما عزي في ابن له إذ جاءه إنسان فقال: إن غلامك أخذ عشرة ألف درهم وهرب، ففزع ودخل وخرج وقد اختلط، قال ابن نمير: سمع منه ابن مهدي ويزيد أحاديث مختلطة.

(٢) رواه البزار. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٤٤): (وفيه سعيد بن أبي المرزبان وهو ضعيف مدلس وعنعنه، وفيه محمد بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ وقد وثق).

وفي رواية للبزار والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٦) (١٢٣٦٩) عن ابن عباس قال لها: «أتشهدين أن لا إله إلا الله؟ قالت: نعم. قال: وتشهدين أني رسول الله؟ قالت: نعم. قال: فأعتقها».

وقد ادعى من لا علم له باضطراب حديث الجارية لاختلاف لفظه مع بعض الروايات الأخرى ليضعف الرواية التي فيها سؤاله عليه الصلاة والسلام للجارية: أين الله؟ فطعن فيها فجاء طعنه في الحجاب، فحديث مسلم وغيره براوية: أين الله؟ وحديث الجارية الخرساء رواية: فأشارت، وحديث جارية الأنصاري رواية: أتشهدين، وحديث الجارية النوبية رواية: من ربك.

وبإعمال قواعد أهل الحديث، قال ابن حجر في هدي الساري مقدمة فتح الباري (ص٣٤٨): (الاختلاف على الحفاظ في الحديث لا يوجب أن يكون مضطرباً إلا بشرطين: أحدهما: استواء وجوه الاختلاف، فمتى رجح أحد الأقوال قدم ولا يعل الصحيح بالمرجوح. ثانيهما مع الاستواء: أن يتعذر الجمع على قواعد المحدثين).

حديث أسامة بن زيد الليثي عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: جاء حاطب إلى رسول الله ﷺ بجارية فقال: «يا رسول الله إن علي رقبة فهل تجزيء هذه؟ فقال لها رسول الله ﷺ: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: فأين ربك؟ فأشارت إلى السماء، قال: أعتقها فإنها مؤمنة» وهو مرسل[١].

حديث جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال في خطبة يوم عرفة: «هل بلغت؟ فقالوا: نعم، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ويقول: اللهم اشهد» أخرجه مسلم[٢].

حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين كانوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون»، متفق عليه[٣].

وعن أبي رزين العقيلي قال: «قلت: يا رسول الله! أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال: كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وعرشه على الماء - قال أبو عبد الله: العماء الغمام، وقال خالد بن يزيد الرازي: أخطأ أبو عبيد؛ إنما العمى مقصور ولا يدري

قلت: ولا يوجد ثم اختلاف بين الروايات، فإن وجد فلا يستوي في القوة، ثم إذا سلمنا بتساويه فالجمع ممكن، فإن تعذر فترجيح رواية مسلم.

(١) رواه أبو أحمد العسال في كتاب السنة من طريق أسامة بن زيد عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال: جاء حاطب.. انظر: التلخيص الحبير للحافظ ابن حجر (٤/ ٤١٣)، وفي الأصل نعيم بن عبد الرحمن.

(٢) صحيح مسلم (٢١٣٧).

(٣) رواه البخاري (٥٢٢)، ومسلم (١٠٠١).

أين كان الرب تعالى، وقيل: معناها مقصور ألا شيء معه فوقه هو وما تحته - هو ثم خلق العرش ثم استوى عليه»، رواه الترمذي وابن ماجه وإسناده حسن[١].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، أخرجه أبو داود والترمذي، وعن عبد الله بن مسعود: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٢].

وعن أنس أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: «زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات»، وفي لفظ أنها قالت للنبي ﷺ: «زوجنيك الرحمن من فوق عرشه» أخرجه البخاري[٣].

---

(١) هذا الحديث رواه أحمد (١٦٢٣٣) والترمذي (٣١٠٩) وابن ماجه (١٨٢). ولنا وقفات مع عبارة المؤلف:

- الأولى: التصحيف في الأصل في قوله: (أبو عبد الله) والصحيح (أبو عبيد)، وخالد بن يزيد إنما هو (يزيد بن هارون) قال العماء: ليس معه شيء.

-الثانية: قوله: (إسناده حسن) فيه نظر، وفي روضة المحدثين نسبة ذلك إلى الحافظ ابن حجر، والحديث من طريق يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن عدس، عن عمه أبي رزين، وهذا سند ضعيف لجهالة وكيع بن عدس، فإنه لم يوثقه غير ابن حبان على عادته في توثيق المجاهيل. انظر: الثقات لابن حبان (٥/ ٤٩٦).

-الثالثة: نص كلام أبي عبيد في غريب الحديث (٢/ ٨): (عماء - ممدود - في كلام العرب السحاب الأبيض). وإنما تأولنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم، ولا ندري كيف كان ذلك العماء وما مبلغه والله أعلم، وأما العمى في البصر فإنه مقصور وليس هو من معنى هذا الحديث في شيء.

(٢) حديث عبد الله بن عمرو رواه أحمد (٦٤٩٤)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤). انظر: السلسلة الصحيحة حديث رقم (٩٢٥).

(٣) رواه البخاري (٦٨٧٠). ولفظ: «زوجنيك ...» رواه الحاكم في المستدرك (٦٧٧٧)، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء بأنني يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء»، متفق عليه[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها»، أخرجه مسلم[٢].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال: اللهم إنك واحد في السماء، وأنا في الأرض واحد أعبدك»، هذا حديث حسن الإسناد[٣].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ يقول: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت: حفظك الله كما حفظتني، ولها نور وضوء فتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله عز وجل فتشفع لصاحبها»[٤].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، أبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء التي فيها الله

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠٤)، ومسلم (١٧٦٣).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٥).

(٣) ضعيف. رواه البزار عن أبي هريرة مرفوعاً. وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٠٢): (وفيه عاصم بن عمر بن حفص وثقه ابن حبان، وقال: يخطئ ويخالف، وضعفه الجمهور)، قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٦/ ٣٧١): (غريب جداً). وقال الألباني: (بل هو عاصم بن أبي النجود). انظر: السلسلة الضعيفة (١٢١٦)، وقد تبع العطاس الذهبي في كتاب العلو (ص٢٠) في قوله: (حسن الإسناد).

(٤) ضعيف. رواه الطيالسي (٥٨٥) عن عبادة مرفوعاً. انظر: ضعيف الجامع (٣٠١).

تعالى»، رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه، وهو على شرط البخاري ومسلم[١].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ يسطع لهم نور فيرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾» أخرجه ابن ماجه في سننه[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «... وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» أخرجاه في الصحيح من وجه عن الأعمش، وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «ابن آدم اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي، فإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة أو قال: في ملأ خير منه»[٣].

وعن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال: «إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» رواه مسلم في الصحيح[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية أن رسول الله ﷺ مر بها حين صلاة الغداة أو بعد ما صلى الغداة وهي تذكر الله ثم مر بها بعد ما ارتفع النهار أو بعد ما انتصف النهار وهي كذلك فقال لها: «قد قلت منذ وقفت عليك كلمات ثلاث مرات هن أكثر وأرجح أو أوزن ما كنت فيه منذ الغداة: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان

---

(١) انظر: مسند أحمد (٢٥١٣٣)، وإسناده على شرط الشيخين. مستدرك الحاكم (١٣٠٢) وليس في مسنده كما في الأصل.

(٢) رواه ابن ماجه (١٨٤) عن جابر مرفوعاً، وهو ضعيف. انظر: ضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٢٥٦)، المشكاة (٥٦٦٤) كلاهما للألباني.

(٣) حديث أبي هريرة: رواه البخاري (٨٦٥٨، ٦٩٨٢)، ومسلم (٤٨٣٢، ٤٨٥٠).
وحديث أنس رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٥٧٥) وابن حبان (٨١٠).

(٤) صحيح مسلم (٤٦٧٤).

الله مداد كلماته» رواه مسلم في الصحيح[١].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ قرأ على المنبر: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾فجعل رسول الله ﷺ يقول: كذا يمجد نفسه جل وعز أنا الجبار، أنا العزيز، أنا المتكبر، فرجف به المنبر حتى قلنا: ليخرن به الأرض»[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾وقال: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾، وقال:﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾.

عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن المسيح ذكر بين ظهراني الناس فقال رسول الله ﷺ: «إن الله ليس بأعور، إلا أن المسيح الدجال أعور عين اليمين كأن عينه عنبة طافية» رواه البخاري في الصحيح، وعن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما بعث نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وربكم ليس بأعور، بين عينيه مكتوب كافر»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا ﴾ قال: بعين الله تبارك[٤].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾،﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ ﴾.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «قلنا: يا رسول الله! أنرى ربنا تعالى؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان صحواً؟ قلنا: لا. قال: أفتضارون في رؤية القمر ليلة البدر إذا كان صحواً؟ قلنا: لا. قال: فإنكم لا تضارون في رؤيتهما، ثم ينادي مناد: ليذهب كل قوم مع ما كانوا يعبدون»، فذكر الحديث، قال فيه: «فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونها؟

---

(١) صحيح مسلم (٤٩٠٥).

(٢) رواه أحمد (٥٦٠٨).

(٣) حديث ابن عمر رواه البخاري (٣١٨٤). وحديث أنس رواه البخاري (٦٥٩٨)، ومسلم (٥٢١٩).

(٤) انظر الأثر في تفسير الطبري (١٢/ ٣٤).

فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد رياء وسمعة، فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» قال .. وذكر الحديث، رواه البخاري في الصحيح عن أبي بكير[١]، ورواه عن آدم بن إياس عن الليث مختصراً، وقال في الحديث: «يكشف ربنا عن ساقه»[٢].

رواه مسلم[٣] عن عيسى بن حماد الليثي كما رواه عن ابن بكير، وروى ذلك أيضاً عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك» أخرجه البخاري[٤].

وقال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث ذكره: «أن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم، التقوى ها هنا وأشار إلى صدره»، رواه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر عن ابن وهب.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٨٦). والصحيح عن ابن بكير.

(٢) رواه البخاري (٤٥٣٨).

(٣) صحيح مسلم (٢٦٩) في كتاب الإيمان بلفظ: «فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق».

(٤) صحيح البخاري (٤٤٥٥).

وعنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله ﷻ لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، وعنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[(١)].

هذا هو الصحيح المحفوظ فيما بين الحفاظ، فأما الجاري على ألسنة جماعة من أهل العلم وغيرهم: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم، فهو مخالف للحديث الصحيح لقوله تعالى: ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾[(٢)].

وعن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم قط إلا ثلاث كذبات: اثنتين في ذات الله قوله: ﴿ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ وقوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾وواحدة في شأن سارة: أنها أختي» رواه البخاري في الصحيح عن سعيد بن تليد عن ابن وهب، ورواه مسلم عن أبي الطاهر[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «تفكروا في كل شيء، ولا تفكروا في ذات الله»[(٤)].

وعن أبي الدرداء: «لا تتفقه كل التفقه حتى تمقت الناس في ذات الله، ثم تقبل على

---

(١) صحيح مسلم (٤٦٥١، ٤٦٥٠).

(٢) قال البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٢٦) عقب الحديث: (هذا هو الصحيح المحفوظ فيما بين الحفاظ، وأما الذي جرى على ألسنة جماعة من أهل العلم وغيرهم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم»، فهذا لم يبلغنا من وجه يثبت مثله، وهو خلاف ما في الحديث الصحيح، والثابت في الرواية أولى بنا وبجميع المسلمين، وخاصة بمن صار رأساً في العلم يقتدى به وبالله التوفيق). ولينتبه أيضاً إلى هذه الرواية في رياض الصالحين (رقم ١٥٧٠).

(٣) صحيح البخاري (٣١٠٨، ٤٦٩٤)، صحيح مسلم (٤٣٧١).

(٤) رواه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٦)، وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٢٤٠) (٢٢). انظر: ضعيف الجامع رقم (٢٤٧٢).

نفسك فيكون لها أشد مقتاً منك»[١].

وعن أبي ذر قال: «سألت رسول الله ﷺ: أي الجهاد أفضل؟ قال: أن تجاهد نفسك وهواك في ذات الله تعالى»[٢].

إلى غير هذه الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة التي يجب الإيمان بها، والعمل بمقتضاها من غير تحريف وتبديل وتشبيه وتعطيل، بل نثبت ما أثبت الله لنفسه، ونكل علمه إليه[٣].

ونقول: رضينا بالله على مراد الله كما قاله خير القرون الذين هم بالله وصفاته عارفون من الخلق الراشدين والصحابة والتابعين ومن على سننهم من أئمة المسلمين كما قال أبو المعالي إمام الحرمين: (لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها أشفى عليلاً ولا تروى غليلاً، بل هما بين شبه وتعطيل، والطريق المخلص منها طريق القرآن اقرأ في إثبات ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ واقرأ في النفي: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠ ﴾ ومن جرب مثلي عرف)[٤].

---

(١) رواه عبد الرزاق (٢٠٤٧٣)، وابن أبي شيبة (٣٤٥٨٤) عن أبي الدرداء موقوفاً قال: «لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة، ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً من مقتك الناس»، واللفظ لعبد الرزاق. قال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٨٣): (ورجاله ثقات إلا أنه منقطع).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٤٩) عن أبي ذر وهو صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة (١٤٩٦).

(٣) تفويض العلم عبارة قلقة ينبغي تركها إذ لم ترد عن السلف.

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٢٧)، الصواعق المرسلة (٢/ ٦٦٢)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠١).

وقال ابن القيم: (من ظن أن الله ﷻ أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما أسبابها ظاهرة باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحقائق المفقودة من كلامه ﷻ، ورمز إليهم رموزاً بعيدة، وأشار إليهم إشارة ملغزة، وصرح بالتشبيه والتمثيل والأمور الباطلة التي لا تجوز عليه، ولا تليق به، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وأفكارهم وقواهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله المفهوم من ظاهره، ويتطلبوا الوجوه والاحتمالات المستكرهة شرعاً وعقلاً والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبرهان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم ورأيهم، لا على كتابه بل أراد منهم أن لا يحملوا كتابه على ما يعرفون من خطابهم، ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل، فلم يفعل بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان، فقد ظن به ظن السوء، فإنه إن قيل: أنه غير قادر عن التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر به هو وسلفه فقد ظن العجز بقدرته، وإن قيل: إنه قادر ولم يبين وعدل عن البيان والتصريح بالحق إلى ما يوهم بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء، وظن أنه وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله، وأن الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم. وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال، وظاهر كلام المتهوكين الحائرين الهدى والحق هذا من سوء الظن ظن الجاهلية، ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته على عرشه باين من خلقه وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، فقد ظن به ظن السوء كما هو، وإن من قال: سبحانك ربي الأسفل كما قال: سبحان ربي الأعلى فقد ظن به ظن أقبح الظن وأسواه، ومن ظن به خلاف ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، أو عطل حقائق ما وصف به نفسه ووصف به رسوله فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن به أن أحداً يشفع عنده بغير إذنه، وأن بينه وبين خلقه وساط يرفعون

حوائجهم إليه، ثم نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إلى الله ويتوسلون بهم عليه ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم في فيدعونهم في حاجتهم لله ﷻ فقد ظن به أقبح الظن والسوء)[١].

وقال الحافظ الذهبي[٢]:

(ما أدركنا عليه العلماء في جميع الأقطار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً يقولون: إن الله على عرشه باين من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، وأحاط بكل شيء علماً، وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية)[٣].

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني[٤]:

(مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين من بعدهم والتمسك بمذاهب أهل الأثر مثل: الشافعي وأحمد وغيرهم رحمهم الله، ونعتقد أن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾)[٥].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٠٤) معنى ظن الجاهِلية.

(٢) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، صاحب المصنفات، توفي سنة (٧٤٨ هـ).

(٣) نقل الذهبي في كتاب العلو (ص١٨٩) عن ابن أبي حاتم قال: (سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار، فكان من مذاهبهم أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وإن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير).

(٤) الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، نزيل أصبهان، صاحب المعاجم الثلاثة وكتاب السنة، توفي (٣٦٠ هـ).

(٥) انظر: العلو للعلي الغفار (ص١٨٩).

وقال محمد بن أسلم الطوسي[١]:

(القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلي، وحيثما كتب لا يتغير ولا يتبدل. ينقل من المصحف مائة مصحف وذاك الأول لا يتحول في نفسه ولا يتغير، وتلقن القرآن ألف نفس وما في صدرك باق بهيئته، لا يفصل عنك ولا يتغير، وذاك أن المكتوب واحد، والكتابة به تعددت، والذي في صدرك واحد، وما في صدور المقرئين هو عين ما في صدرك سواء، والمتلو واحد وإن تعدد التالون، وهو كلام الله، ووحيه وتنزيله ليس هو كلامنا أصلاً، وتكلمنا به وتلاوتنا له من أفعالنا، وكذلك كتابتنا له، وأصواتنا به من أعمالنا، كلام الله ليس بمخلوق، فإذا سمعه المؤمنون في الآخرة من رب العالمين فالتلاوة إذ ذاك والمتلو ليسا بمخلوقين)[٢].

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: (سألت أبي ما تقول في رجل قال: التلاوة مخلوقة، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، أو يقال: مخلوق أو غير مخلوق، كلام حسن وإلا فالملفوظ كلام الله والتلفظ به من كسبنا)[٣].

---

(١) الإمام الرباني محمد بن أسلم الطوسي، من مصنفاته الأربعون، توفي سنة (٢٤٢ هـ).

(٢) العلو للذهبي (ص١٩٢). وفيه أن نص كلام محمد بن أسلم: (القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلي، وحيثما كتب لا يتغير ولا يتبدل) وما بعده فهو من قول الذهبي. ابتدأ بقوله: (قلت: صدق والله فإنك تنقل من المصحف ...).

(٣) في العبارة سقط، وأصله في كتاب العلو (ص ١٩٣): (وقال عبد الله بن الإمام أحمد: سألت أبي ما تقول في رجل قال: التلاوة مخلوقة، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق؟ قال: هذا كلام الجهمية قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦]، وقال النبي ﷺ: «حتى أبلغ كلام ربي» وقال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»، وكان أبي يكره أن يتكلم في اللفظ بشيء، أو يقال: مخلوق أو غير مخلوق.

قلت - الذهبي -: فعل الإمام أحمد رضي الله عنه هذا حسماً للمادة وإلا فالملفوظ كلام الله والتلفظ به فمن كسبنا).

وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتابه مختلف الحديث[١]:

(نحن نقول في قول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾: يعلم ما هم عليه كما إذا وجهت رجلاً إلى بلد وقلت له: احذر التقصير فإني معك، يريد أن لا يخفى علي تقصيره، ولا يسوغ لأحد أن يقول: أنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ومع قوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾فكيف يصعد إليه شيء هو معه؟ وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهي معه، ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم، وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله ﷻ هو العلي الأعلى، وإن الأيدي ترفع بالدعاء إليه، والأمم كلها أعجميها وعربيها، تقول: إن الله في السماء ما تركت على فطرتها)[٢].

وقال ابن خزيمة[٣]:

(من لم يقر أن الله على عرشه، فوق سبع سماوات، بائن من خلقه فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه) وكان إماماً في الحديث وإماماً في الفقه[٤].

وقال ابن سريج[٥]:

(حرام على العقول أن تمثل الله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الألباب أن تصفه بغير ما وصف به نفسه، في كتابه أو على لسان رسول الله ﷺ. وقد صح عند جميع أهل الديانة والسنة إلى زمننا أن جميع الآيات والأخبار الصادقة من رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منها كما ورد، وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة مثل قول: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ

---

(١) الإمام العالم عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، صاحب مختلف الحديث، توفي سنة (٢٧٦ هـ).

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٢٧١).

(٣) هو الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، صاحب كتاب التوحيد، توفي سنة (٣١١ هـ).

(٤) العلو للذهبي (ص ٢٠٧).

(٥) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج، أحد أئمة المذهب الشافعي، توفي سنة (٣٠٦ هـ).

عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾وقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والوجه والسمع والبصر والضحك والتعجب والنزول إلى السماء الدنيا، اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة في القرآن أن نقبلها ولا نردها ولا نتأولها بتأويل المخالفين، ولا نحملها على تشبيه المشبهين، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية)[1].

وسئل أبو جعفر الترمذي[2] في حديث نزول الرب فقال:

(النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)[3].

فالنزول والكلام والسمع والبصر والاستواء عبارات جلية واضحة للسامع، فإذا الموصوف بها من (ليس) كمثله شيء فالصفة تابعة للموصوف.

وقال الطحاوي[4] في العقيدة التي ألفها ذكر: بيان السنة والجماعة على مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف وأبي محمد رضي الله عنهم:

(نقول في توحيد الله معتقدين: أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ما زال بصفاته قبل خلقه، وأن القرآن كلام الله تعالى، وأنزله على نبيه وحياً، وصدقه المؤمنون حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق، فمن سمعه وزعم أنه كلام البشر فقد كفروا، والرؤية لأهل الجنة حق بغير إحاطة ولا كيفية، وكل ما في ذلك من الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو

---

(١) انظر: العلو للذهبي (ص ٢٠٨).

(٢) هو الفقيه محمد بن أحمد بن نصر الترمذي، كان من بحور العلم ومن العباد، توفي سنة (٢٩٥ هـ).

(٣) العلو للذهبي (ص٢١٤).

(٤) الإمام الطحاوي هو أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي، عالم الديار المصرية، توفي سنة (٣٢١هـ).

كما قال، ومعناه على ما أراد ﷻ، ولا نثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصحيح الإيمان، ومن لم يتوق النفي والتشبه زل ولم يصب التنزيه .. إلى أن قال: والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش، وما دونه محيط بكل شيء وفوقه)[1].

قال الإمام أبو الحسن الأشعري[2] في كتابه الذي سماه (اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين) فذكر فرق الخوارج والروافض والجهمية وغيرهم إلى أن ذكر مقالات أهل السنة، وأصحاب الحديث قال:

(قولهم الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء عن الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ: أن الله على عرشه كما قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾وإن له يدين بلا كيف، كما قال: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾، وإن أسماء الله لا يقال أنها غير الله كما قالت المعتزلة، وأقروا أن لله علماً كما قال: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة، وقالوا: لا يكون في الأرض من خير وشر إلا ما شاء الله كما قال تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾. ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، ويؤمنون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ: «الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر...» الحديث، ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ ﴾وأن الله تعالى يقرب من خلقه كيفما يشاء قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ ﴾.. إلى أن قال: فهذا جملة ما يأمرون به، ويعتقدونه ويرونه. بكل ما ذكرنا من

---

(١) انظر: العقيدة الطحاوية.

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي بشر الأشعري البصري، صاحب الإبانة في أصول الديانة، كان معتزلياً ثم صار متكلماً ثم وافق ما عليه أهل الحديث، توفي سنة (٣٢٤ هـ).

قولهم نقول، وإليه نذهب)[١].

وذكر الأشعري في كتابه المذكور في باب هل الباري تعالى في مكان دون مكان، أم لا في مكان، أم في كل مكان؟ فقال: (اختلفوا في ذلك على سبعة عشر مقالة منها:

قول أهل السنة وأصحاب الحديث أنه ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وإنه على العرش كما قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾، ولا نتقدم بين يدي الله بالقول، ونقول: استوى بلا كيف، وأن له يدين كما قال: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾وأنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث.. ثم قال: وقالت المعتزلة: استوى على عرشه بمعنى استولى، وتأولوا اليد بمعنى النعمة، وقوله: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾أي بعلمنا)[٢].

وقال فيه أيضاً في باب الاستواء: (فإن قال قائل: وما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول: إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾و﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾وقال حكاية عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ أكذب موسى في قوله: أن الله فوق سماواته، وقال ﷻ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾فالسماوات فوقها العرش، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، فأولى أن الله على عرشه ما قال في حق ملائكته ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ وبما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الأيدي إلى السماء.

وقال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى استوى استولى وملك وقهر بما

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٢٩٠-٢٩٧) في قوله: (قول أصحاب الحديث وأهل السنة).

(٢) المرجع السابق (ص٢١٠).

يفيد التجدد والحدوث في الملك، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل هو مستول ومالك وقاهر على العرش، وعلى جميع مخلوقاته من حين خلقهم، وقالوا أنه في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة لأنه قادر على كل شيء! وكيف يكون في كل مكان ومنه الحشوش والحانات والمزابل وما أشبه ذلك من الأماكن المستقذرة؟ تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولم يجز عن أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك، فبطل ما يقولون بالنقل والعقل)[1].

وذكر أدلة من الكتاب والسنة والعقل سوى ذلك فلا نطيل بذكرها فلتراجع.

وقال الإمام أحمد: (جملة ما نقول أن نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء عن الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى واحد، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله تعالى مستو على عرشه كما قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾، وإن له وجهاً كما قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾، وإن له يدين كما قال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾، وله عينين بلا كيف كما قال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾، وأن من زعم أن اسم الله غير كاف ما لا وأن الله يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، وأنه قلب القلوب، وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه، وأنه يضع السماوات على أصبع، وأنه ينزل في كل ليلة إلى السماء الدنيا كما جاءت الأحاديث، وأنه يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ ﴾ وكما قال: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾)[2].

---

(١) الإبانة (ص١٠٥-١٠٩).

(٢) العلو للعلي الغفار (ص٢٢١).

الخاتمة

وبذكر قول الإمام أحمد في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة نكون قد أتينا إلى خاتمة المطاف مع هذه المخطوطة النافعة، والتي تدل على سعة علم مؤلفها، وقيامه بالدعوة إلى توحيد الله ﷻ، ونبذ الإشراك به، وتأثره بعقيدة أهل السنة، وقد وعد بالخوض في هذين الأمرين بتنزيه الذات والصفات من درن الإلحاد والشبهات، فصدق في وعده وأزال عثار الشبهات التي يثير غبارها أهل التأويل، فما أحوجنا إلى مثل هذه الرسائل المهمة في زمن روجت فيه بضاعة الفرق المنحرفة، ويزهد في منهج السلف الصالح.

فجزى الله مؤلفها خير الجزاء، ونفع بها، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر

- اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري.
- إرواء الغليل للألباني.
- الأسماء والصفات للبيهقي.
- التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني.
- السلسلة الصحيحة للألباني.
- العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي.
- العلو للعلي الغفار للذهبي.
- الكشاف للزمخشري.
- بضائع التابوت لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (مخطوط)
- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة.
- تفسير ابن أبي حاتم.
- تفسير ابن جرير الطبري.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير البغوي.
- تفسير الرازي.
- تفسير القرطبي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.

- سنن ابن ماجه.
- سنن أبي داود.
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي.
- شفاء العليل لابن القيم.
- صحيح البخاري.
- صحيح الجامع الصغير للألباني.
- صحيح مسلم.
- مجمع الزوائد للهيثمي.
- مسند الإمام أحمد.

فهرس المحتويات

مقدمة ٣
السلطان عبد الله غرامة: ٤
مكاتبات السقاف وغرامة ٥
الشيخ باصبرين ٨
ترجمة المؤلف ٩
موضوع المخطوطة ١١
وصف المخطوطة ١٤
صورة من المخطوطة ١٥
تنزيه الذات ولصفات من درن الإلحاد والشبهات ١٧
الخاتمة ٥٩
أهم المصادر ٦٠
فهرس المحتويات ٦٣

من منشوراتنا

شرح كتاب الكبائر

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

تأليف

عقيل بن عمر السقاف

تحقيق

أكرم مبارك عصبان

دار الأخلاء
للنشر والتوزيع

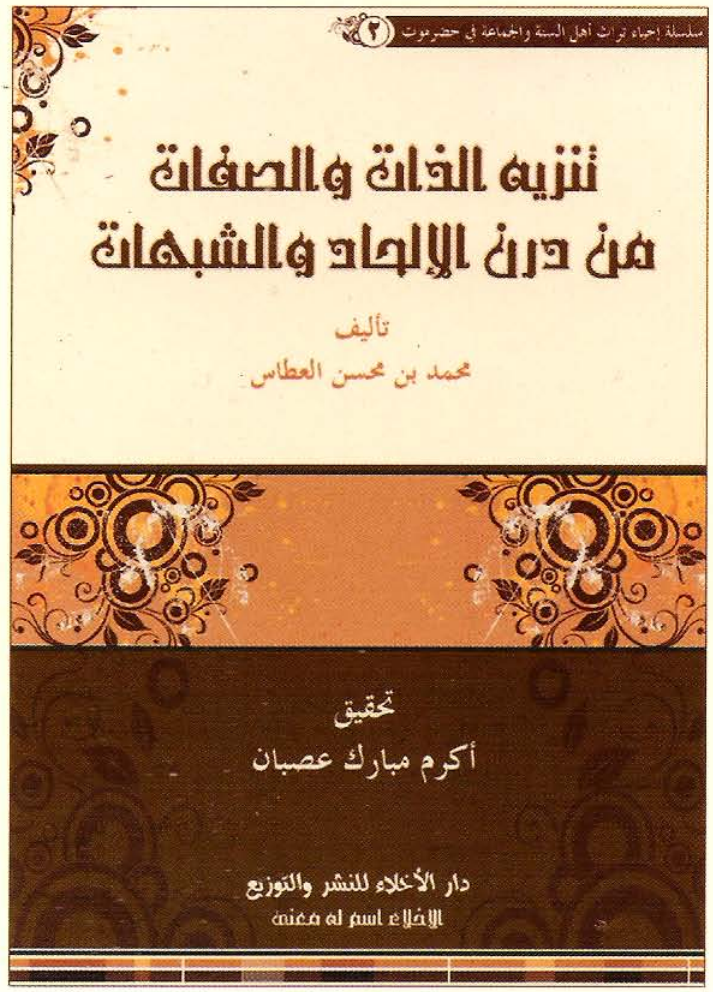

دار الأخلاء للنشر والتوزيع

الإخلاء اسم له معنى

الجمهورية اليمنية _ حضرموت

المكلا _ ٤٠ شقة على طريق فوه مقابل مستشفى الأمومة والطفولة

جوال : ٧٣٤٠٠١٥٨١ - ٧٧٧٤٧٢٩٠٢ (٠٠٩٦٧) ص.ب: ٥٠٨١٦

E-mail:salim_break@hotmail.com

E-mail:salim_break@yahoo.com

صوفيا حصن الموتى

WWW.SOUFiA-H.COM

تكشف الحقائق الغائبة للباحثين عن الحقيقة